أفكار أساءت إلى الشيعة

مشكلة الشيعة أنها تمثل المعارضة لأهل السُنّة فى بعض الأمور، وأن تلك المعارضة -أو الاختلافات- كانت إغراء لأصحاب الديانات الأخرى الذين دخلوا فى الإسلام - نفاقا - لأنهم وجدوا أنهم بانضوائهم تحت عباءة الإسلام يستفيدون أكثر.. ووجدوا فى اختلافات الشيعة منفذًا لدس أفكارهم وعقائدهم التى كانت فى حقيقتها غريبة على الشيعة.. وغريبة على الإسلام! ولكنهم- بعد ذلك- أصبحوا محسوبين على الإسلام، ومحسوبين على الشيعة، وصار كل من يريد الهجوم على الشيعة أو على الإسلام يستشهد بأقوالهم. ومع أن معظم هذه الفرق اندثرت، ولم يعد لمعظمها وجود فى الوقت الحالى، وما بقى منها ليس سوى مجموعات صغيرة وهامشية ومرفوضة من التيار العام للشيعة، وليس لها مكان بينهم بأية حال من الأحوال. إلا أن البعض ينقب فى الكتب القديمة لإحياء أفكارها وتقديمها وكأنها أفكار الشيعة اليوم.

يذكر المؤرخون القدامى كيف دخل المتطرفون من الديانات الأخرى فى الإسلام، وينقل الدكتور على سامى النشار عن كتاب ابن أبى الحديد (شرح نهج البلاغة).. كيف أن العرب قبل الإسلام كانت فيهم جماعات تعتنق بقايا دين إبراهيم، وكان هناك أقوام من العرب دخلوا فى اليهودية، ودخل آخرون فى الديانة النصرانية، وتزندق منهم قوم فقالوا بالثنوية (أى الثنائية: إله للخير وإله للشر) وقد تزندق حجر بن عمرو الكندى، ويعلق الدكتور النشار على ذلك بأن الثنوية إذن كانت موجودة فى قبيلة كندة، وقد سكنت قبيلة كندة بعد ذلك الكوفة، وفى هذه القبيلة نشأ الغلو الشيعى، وكان أخطر الزنادقة أبو سفيان الأموى عدو الإسلام

العتيد، بل إن مسيلمة المتنبئ الكذاب تأثر بالثنوية أيضا، وقد طاف مسيلمة فى الأسواق حيث كانت تعرض مختلف الأفكار والعقائد والملل، وكانت الأسواق فى ذلك الزمان مثل حديقة هايد بارك البريطانية الشهيرة التى تعتبر ساحة مفتوحة يقول فيها كل من يشاء كل ما يريد دون حرج أوخوف.

وفى الكوفة أيضا سكن كثيرون ممن ارتدوا عن الإسلام، ثم عادوا وأسلموا، وبعضهم انضم إلى مسيلمة الكذاب، وتابعوه على أنه نبى (!)، وباختصار فإن الأفكار والعقائد والملل الغريبة الشاذة كانت موجودة على رغم انتشار الإسلام والمسلمين.. بل إن الزندقة والسحر والمجامع السرية كانت موجودة، وإلى جانب هؤلاء كان أصحاب الديانات الأخرى يرقبون بكراهية سيادة العرب القادمين من الصحراء بعقيدة بسيطة وسهلة يسيطرون بها على الأكاسرة والقياصرة، فماذا يُنتظر منهم؟.. لقد انتظروا كل فرصة لتمزيق صفوف المسلمين وتفريق كلمتهم، وكان النزاع بين الأمويين والهاشميين فرصتهم، وكانت بداية الغلو فى عقائد الشيعة غلوا فى الحب أنتج الأساطير حول الإمام علىّ وأبنائه، وبعد ذلك انقسم شيعة أهل البيت إلى عدة أقسام مثل غلاة الهاشمية: أتباع أبى هاشم بن محمد بن الحنفية. وغلاة الإمامية: أتباع أبناء السيدة فاطمة الزهراء (الحسن والحسين)، وغلاة الجعفرية: أتباع جعفر بن أبى طالب. وغلاة العباسية: أتباع أبناء العباس بن عبدالمطلب (عم الرسول ﷺ). والأساطير التى نسجوها حول هؤلاء لم تكن سوى تكرارا لما فى الديانات والعقائد والملل الأخرى التى كانت موجودة قبل الإسلام. ويقول الشهرستانى فى كتابه الشهير (الملل والنحل): الغالية هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخِلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفى الغلو والتقصير.. ويفسر ذلك بقوله: وإنما نشأت تشبيهاتهم من مذاهب الحلولية (أى

أن يحل الإله فى إنسان) ومذاهب التناسخية (أى أن تحل روح إمام فى إمام بعده)، ومذاهب اليهود، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق، وفسرت هذه المشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الألوهية فى حق بعض الأئمة، ثم انتقل التشبيه والتجسيم إلى فريق من أهل السُنّة والجماعة)، ثم يعدد الشهرستانى بعض فرق من غلاة الشيعة فى عصره، ومنها فرق غريبة لم يعد لها وجود فى عصرنا على الإطلاق، ويرى أن فكرة التناسخ بين الأئمة التى يؤمن بها بعض غلاة الشيعة مصدرها المجوس وهى موجودة فى الديانة المجوسية، ومصدرها أيضا البراهمة فى الهند والصابئة، والفلاسفة، وهؤلاء قالوا: إن الله بكل مكان، ناطق بكل لسان، ظاهر فى كل إنسان، وهذا هو مذهب وحدة الوجود..

□□□

هنا نصل إلى النقطة الأساسية للخلاف بين أهل السُنّة والشيعة، وإلى النقطة الأساسية التى تفصل بين الشيعة المعتدلين وغلاة الشيعة، وهى فرق تجاوزت حدود الشريعة باسم الشريعة، وأساءت إلى الشيعة باسم الشيعة، وأصبحت محسوبة على الشيعة، ويحلو لكثير ممن يتناولون أمور الشيعة أن يستعرض الآراء الغريبة لهؤلاء الغلاة، ويظن - أو يعمل ماكرا على الادعاء - بأن هؤلاء هم الشيعة، والحقيقة أن هؤلاء أساءوا إلى الشيعة وإلى الإسلام.

فلن يعارض أحد فى اتجاه الشيعة عموما إلى الغلو فى حب الإمام علىّ والحسن والحسين وآل البيت عموما ونسلهم إلى يومنا هذا، ولكن المعارضة تبدأ عندما تنسب بعض الفرق من غلاة الشيعة النبوة أو الألوهية إلى واحد من هؤلاء، أوالقول بأن الله اختصه بالعلم بما كان وما سيكون، والله أخبرنا بأنه هو وحده الذى يعلم الغيب، فإذا قيل إن الأئمة أيضا يعلمون ما كان وما هو كائن وما سيكون فى الغيب فإن ذلك ليس إلا من سعى جماعات أو فرق علنية وسرية لها هدف خبيث

لهدم عقيدة الإسـلام الصحيحة، وتمزيق الكيان الإسلامى، وإشعال الخلافات بين المسـلمين،بحيث تبقى الفتنة على مر السنين تشـغل المسلمين عن أمور دينهم ودنياهم،أما الشـيعة المعتدلون فهم موضع احترام أهل السُنّة، ولم يستنكر علماء أهل السُـنّة والجماعة حركة التوابين من الشـيعة..بل إن الإمـام الأكبر أبا حنيفة النعمان عالم الإسلام كان يؤيد الإمام زيد بن على فى خروجه على بنى أمية وكان يمده بالمال والمساعدة، ولم يكن أبو حنيفة شيعيًا.. بل كان أكبر أئمة السُنّة، كذلك كان الإمام الشافعى وهو أبعد الناس عن التشيع يقول:

لو كان رافضا حب آل محمد فليعلم الثقـلان أنى رافض

وهكذا - كما يقول الدكتور النشـار- فإن حب آل البيت لا ضير فيه، ولكن الغلو هـو الذى أدى إلى تمزيق المجتمع الإسـلامى، وأدى كذلـك إلى أخطر النتائج فى تشويه صورة عقائد الشيعة، وأعطى لأعدائهم الفرصة للحرب عليهم.

□□□

ولمن أراد أن يعرف كل شـىء عن الفرق المتطرفة والمشـبوهة التى انتسـبت للشـيعة، والتى يستشـهد بآراء بعضها الذيـن يهاجمون الشـيعة، فإن فى كتاب الدكتور على سامى النشار (نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - الجزء الثانى - عن نشـأة التشـيع وتطوره) الكثير.. وطبعا هناك أشهر كتاب عدائى للشيعة هو كتاب (الملل والنحل) للشهرستانى الذى يأخذ أعداء الشيعة منه أقوال الغلاة والمتطرفين من فرق الشـيعة وينسبونها إلى جميع فرق الشـيعة دون تفرقة بين فرق الشيعة المعتدلة وفرق غلاة الشيعة وبين الفرق القائمة الآن والفرق المنقرضة.

من أمثلة غلاة الشيعة: غلاة الكيسانية الذين ابتدعوا تفسير القرآن بأفكار شبيهة بأفـكار الملل الوثنيـة والديانات الأخرى، وهم الذين ابتدعوا فكرة العلم السـرى بالغيب الذى يتميز به نسـل الرسـول ﷺ، وهم أيضا الذين ابتدعوا فكرة الرجعة

أى رجـوع الأئمـة إلى الحياة مرة أخرى، وذلك عندما مات إمامهم أبو هاشـم بن محمد الحنفية وأعلنوا أنهم (فى التيه) لا إمام لهم ولا مرشد، وأن الإمام عليًا أوصى بالإمامة إلى الحسـن، والحسـن أوصى إلى الحسين، وأوصى الحسين إلى محمد الحنفيـة، فكان كما يقولـون: هو (العلم والمقنع) ثم انتقلت الإمامة إلى ابنه عبد الله أبى هاشـم، ولم يكن له أبناء، فلما مات دون أن يوصى بالإمامة لأحد من أهله قال أنصاره: إن الإمامة عادت إلى أبيه الميت الذى سـيعود حيًا ويسـاعد الناس على الخـروج من التيه الذى هم فيه،وفكرة أنهم فى التيه هى من وحى اليهود، وهم أول من قالـوا بأنهم فى التيه وظلـوا يؤمنون بذلك ويرددونه حتـى العصر الحديث، وفكرة اليهودى التائه معروفة ومشـهورة، وهكذا قالـت هذه الفرقة: إن (المهدى) لم يمت ولكنه اختفى، وأنهم بسـبب غياب الإمام لايجدون من يرشدهم إلى ما هو حق وما هو باطل، أو ما هو صواب وما هو خطأ، وبناء على ذلك قالوا بفكرة جديدة أشد غرابة هى (رفع التكاليف) أى التحلل من أوامر الشريعة ونواهيها إلى أن يأتى الإمام المرشد.

وقال هؤلاء: إن محمدَ بن الحنفية لم يمت، وإنه موجود فى منطقة تسمى (جبل رضوى) وعنده عين ينبع منها الماء وعين ينبع منها العسل يأخذ منهما رزقه، وعن يمينه أسـد وعن يسـاره نمر لحمايته من أعدائه، إلى أن يحين وقت خروجه وهو الإمام المنتظر. وهكذا ظهرت فكرة خلود الإمام وعودته.

كل هـذه (التخاريـف) لم تكن فقط كل مـا يقوله أتباع هـذه الفرقة من غلاة الكيسـانية، ولكن ظهرت فيهم طائفة ثانية هـى (الحربية) أتباع عبدالله بن عمرو بن حرب الكندى وهو من قبيلة كندة، وكان فى البداية من فرقة أبى هاشـم ثم انشـق، وادعى أن الوصية أخرجت أبا هاشم من الحق فى الإمامة وانتقلت إليه.

ومن أخطر الزنادقة الذين أسسـوا الغلو الشـيعى أيضا أبو سفيان الأموى عدو الإسـلام العتيد، وفى هذا العصر كان قد انتشـر فى الكوفة السحر والزندقة

والمجامع السرية، وفيه أيضا ظهر العداء من أصحاب العقائد الوثنية للعرب القادمين من الصحراء بعقيدة بسيطة يملكون بها الممالك ويهزمون الأكاسرة والقياصرة، وهؤلاء المتربصون بالإسلام ظلوا فى انتظار الفرصة لتمزيق الجماعة وتشتيت جهود المسلمين فيما لا يجدى ولا يفيد، ووجدوا فرصتهم فى الخلاف بين أهل السُنّة والشيعة، أو بين الهاشميين والأمويين.

ومن الغريب أن يظهر فى هذا العصر رجل مثل ابن سمعان التميمى ليروج لفكرة أن الإمام مقدس وأن وكيله فى منزلة النبى(!) وأن الإمام يحل فيه جزء إلهى، ويروج أيضا إلى التفسير الباطنى للقرآن، الذى يخرج عن ظاهر النص، ويضيف إليه ماليس فيه، إلى حد أن ابن سمعان فسر قول الله تعالى:﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى﴾ (آل عمران آية ١٣٨) على أنه (أى ابن سمعان) هو البيان والهدى. وقال إنه مذكور فى القرآن، وكان يردد (أنا البيان وأنا الهدى والموعظة)، وقد استمر هذا النوع الغريب من التفسير لدى بعض الفرق، واستمر فى العصر الحديث عند البهائية والبابية. وقد أعلن ابن سمعان أنه نبى، وأرسل إلى الإمام محمد الباقر يدعوه إلى الإيمان بنبوته، ويقول له: (أسلم تسلم، فإنك لاتدرى أين يجعل الله النبوة والرسالة). وهكذا اشتد خطر هذا الرجل على العقيدة الإسلامية بعد أن اجتمعت طائفة من أهل الكوفة على الإيمان بمذهبه، إلى أن قتله حاكم الكوفة، وبعد مقتله ادعى أتباعه ألوهيته (!).

هذا الرجل هو الذى أدخل التفسيرات الغريبة للآيات التى يحلو للبعض أن يرددها على أنها أفكار الشيعة، والشيعة بريئة منها، مثل قوله إن روح الله دارت فى الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى الإمام علىّ ثم إلى محمد بن الحنفية، ثم صارت إلى ابنه أبى هاشم، ثم حلت بعده فى ابن سمعان، وبذلك استحق أن يكون إمامًا وخليفة بما فيه من الجزء الإلهى الذى استحق به آدم سجود الملائكة (!) وبهذه

الأفكار تكونت (الفرقة السمعانية) التى يحسبها البعض على الشيعة. وهؤلاء هم الذين اخترعوا فكرة (الاسم الأعظم) وكان ابن سمعان يزعم أنه هو الذى يعرف (الاسم الأعظم) ويزعم أنه قادر على هزيمة الجيوش، وأنه يدعو الزهرة بالاسم الأعظم فتجيبه.

كل هذه أفكار بعيدة عن جوهر الإسلام وعن جوهر الشيعة، ومع ذلك فقد نسبت نفسها للشيعة، واتخذها البعض وسيلة للهجوم على الشيعة، والادعاء بأن هذه هى أفكار وعقائد الشيعة، وهذا غير صحيح.

□□□

يحدثنا الدكتور النشار عن شخصية غريبة أخرى لا يكاد أحد يصدق أنه كان يتمتع بالعقل، اسمه أبو منصور العجلى المقتول فى سنة ١٢١ هجرية، وكان فى بدايته من المقربين إلى الإمام محمد الباقر وكان يتقن اللغة الفارسية، وبعد وفاة الإمام محمد الباقر اختلف مع ابنه الإمام جعفر الصادق وأعلن نفسه إماما، وقال: إن آل النبى هم السماء، والشيعة هم الأرض، وأنه هو الصلة بين الاثنين، وقال أيضا: إنه عرج به إلى السماء فمسح الله على رأسه، وكلمه الله باللغة السريانية وقال له: (أى بنى، انزل فبلغ عنى) ثم أنزله الله على الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء كما جاء فى القرآن فى سورة الطور آية ٤٤: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

وادعى أيضا أنه هو (الكلمة).

وأعلن أن النبوة لا تنقطع أبدا وأنها متجددة دائما، وأن علىً بن أبى طالب كان نبيًا ورسولاً! وكذلك الحسن والحسين، وعلى بن الحسين، ومحمد بن على، إلى أن تصل السلسلة إليه فهو أيضا نبى ورسول، وستكون النبوة بعده لأبنائه. وادعى أن الوحى يأتيه (!) وأن الله بعث محمدا ﷺ بالتنزيل، وبعثه هو بالتأويل،

ومـن هذا التأويـل قوله بأن الجنة التى ورد ذكرها فـى القرآن هى عبارة عن رجل أمرنـا الله باتباعه هو الإمام، أما النار فهى رجل أمرنا الله بمعاداته هو خصم الإمام، واستمر فى تأويل المحرمات التى ورد ذكرها فى القرآن على أنها رجال أمرنا الله بمعاداتهـم، وتأويل الفرائض كلها على أنها أسـماء رجال أمرنا الله بموالاتهم، وأن من يظفر بالرجل (الإمام) ويعرفه، يسـقط عنه التكليف، ويكون قد وصل إلى الجنة وبلغ الكمال (!) ويذكر عن هذا الرجل أنه اسـتحل النسـاء والمحارم، وأحل ذلك لأصحابه، وزعم أن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسـر -وغيرها- حلال ولم يحرمها الله (!) وأنها فى الحقيقة أسـماء رجال حرم الله اتخاذهم أولياء، وادعى أن تأويل ذلك قوله تعالى فى آية٩٣ فى سورة المائدة: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾. وبعد ذلك أعلن ما أسـماه (الجهاد الخفى) وهـو خنق وقتـل كل من يخالفه فى مذهبه، وقال لأصحابـه: (من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفى).

يقول الدكتور النشار: إن آراء أبى منصور العجلى هذا كان لها أكبر الأثر فى مجتمع الكوفة فى زمنه ثم فى مجتمع الشـيعة عامة، خاصة إعلانه فتح باب الوحى وعدم انقطاع الوحى بعد الرسول ﷺ، وأن الوحى متجدد والنبوة مستمرة لا تنقطع، ومهد بذلك لمذهب غلاة الإسـماعيلية، ثم البهائية فى العصر الحديث. كما أنه فتح باب التأويل الذى دخلت منه فرق عديدة، ونسـخ الشـريعة الإسـلامية بالتأويل، وأقام المجتمع المتحرر المتجرد من كل الشرائع، ووضع فكرة المعراج الروحى، وأخيرا أعلن أنه هو (المسـيح الثانى)! أما دعوته إلى خنق المخالفين له فقد أدت إلى قيام أتباعه بتكوين فرقة عرفت باسم (الخناقين). ولهذا قتله والى الكوفة، وبعده تولى ابنه قيادة فرقة الخناقين ونشر بها الذعر فى العالم الإسلامى، وأعلن ابنه أنه هو أيضا نبى واستجاب له عدد غير قليل إلى أن قتله الخليفة المهدى.

هكذا تسللت أفكار غريبة من عقائد وديانات مختلفة بعيدة عن الإسلام وتكونت فرق تؤمن بها،وصارت هذه الفرق محسوبة على الشيعة. والبعض يردد هذه العقائد الغريبة على أنها عقائد الشيعة عموما. وهذا هو الخطأ الذى حدث وترتبت عليه نتائج خطيرة أبسطها الشرخ الذى حدث بين أهل السُنّة والشيعة المعتدلين بينما تجمعهم أسباب كثيرة من الإيمان بالأصول وعدم الاختلاف على شيء منها.

□□□

ومن الأفكار الغريبة التى نقلها غلاة الشـيعة عن عقائد وثنية قديمة أفكار رجل اسمه عبدالله بن معاوية ادعى أن الله نور، وأنه هو (أى عبدالله بن معاوية) هذا النور، وقال: من عرف الإمام فليصنع كما يشاء. وبهذه الإباحية جذب إليه الشواذ، فأقام مجتمعا إباحيا، ولم يتبعه الشيعة الحقيقيون، وقتله الحاكم الأموى، وكانت آراؤه تتلخص فى أن الله نور، وأن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص، وأن روح الله تناسخت، كانت فى آدم، ثم دارت فــى الأنبيــاء إلى أن انتهت إلى الإمام علىّ، ثم دارت فى أولاده حتى وصلت إليه (عبدالله بـن معاوية)، ولهذا فإن فيه الألوهية والنبوة معا، وهو يعلم الغيب، والعلم ينبت فى قلبه، وأما الثواب والعقاب فهما من نصيب الإنســان أو الحيوانات، والتناسخ يكون فى الدنيا، والعقاب فى هذه الأشخاص، وتأويل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أن مــن وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج فى جميع ما يأكل، ووصل إلى الكمال، وقالوا إن تناسخ أرواحهم جعلتهم مع نوح عليه السلام فى السفينة، فهم (أصحاب السفينة)، وهم مع كل نبى فى عصره وزمانه، وهم مع النبى محمد ﷺ، ولهذا فهم أصحاب الرســول ﷺ) ويزعمون أن أرواحهم فيه، ويتأولون الحديث الشــريف: (إنمــا الأرواح جنود مجندة ما تعارف منهــا ائتلــف، وما تنافر منها اختلف) فيقولون: (نحن نتعــارف كما قال الإمام علىّ عليه السلام وكما روى النبى ﷺ) ويقولون: إنه على قدر طاعة الإمام يكون تناسخ

الـروح، فمن أخلص فـى طاعته تكن روحه فى الدواب التـى تحظى بالرعاية مثل خيول الحكام التى تحظى بالسروج المحلاة، ومن لا يخلص فى طاعته للإمام تدب روحه فى دواب ضالة أو مهملة، وتبقى الأرواح تتناسخ فى الحيوانات ألف سنة، ثم تعود إلى صورة الإنسان مرة أخرى، وهذا امتحان لها على مدى طاعتها للأئمة (!)

أما الكفار والمشركون والمنافقون والعصاة، فينتقلون فى أجسام مشوهة عشرة آلاف سنة..

أفـكار كثيـرة غريبـة، لا معقولة، لا يمكـن أن يرددها عاقـل ولا أن يصدقها من لديه أبسـط معرفة بالإسـلام، ومع ذلك فقد آمن بها البعض، وادعوا أنهم من فرق الشـيعة، وحتى بعد أن قتل عبدالله بن معاوية استمرت هذه الأفكار يرددها عبدالله ابن الحرث الذى أباح لأنصاره الخمر والميتة والزنا وسـائر المحرمات، وأسـقط التكاليـف والعبادات.. وهكذا ظهرت على مدى التاريـخ فرق كثيرة رددت أفكارا غريبة عن الإسـلام.. أفكارًا منقولة مـن عقائد وديانات وثنية. ووصل الأمر إلى حد ظهور فرقة اسـمها (الجناحية) مهدت السبيل لرجل اسمه بابك الخزمى وصل إلى آخر ما يمكن الوصول إليه من الإباحية واستحلال قتل المسلمين، وقد سادت هذه الفرقة فترة من الزمن فى عهد العباسيين.

إذن فإن فكرة اسـتحلال قتل المسـلمين لها جذور فى هذه الفرق الغريبة التى تدعى أنها فرق إسـلامية(!) واسـتعراض تاريخ هذا الاستحلال يدل على أنها فكرة دسها فى الأصل أعداء الإسلام لهدم الإسلام وزعزعة وحدة المسلمين.

□□□

ويحدثنا الدكتور النشـار أيضا عن شخصية تمثل أبشع صورة من صور الغلو، أقلقت مضجع الدولة، كما أقلقت الإمام جعفرًا الصادق- إمام الشـيعة المعتدلين- الذى كان يلقى دروسـه فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة. أما

هذه الشخصية فهى شخصية أبى الخطاب الأسدى (المقتول سنة ١٣٨ هجرية) وقد نشـأ فى الكوفة، وتردد على الإمام جعفـرًا الصادق وأخذ عنه، ثم ادعى أن الإمام جعفرًا الصادق قال له: أصبحت غيبة علمنا، ومعدن سـرنا، ومجمع أمرنا ونهينا، ومـؤدب المؤمنين بأدبنا، أنت الباب الذى يؤدى إلى علمنا، وفيك ينبأ علم التأويل والتنزيل وباطن السـر وسـر السـر..!! وقيل: إن هذه الأقوال عرضت على الإمام جعفر الصادق نفسه فكذّبها وأنكرها، بل يذكر أن الإمام جعفرًا الصادق قال عنه: (اللهم العن أبا الخطاب، اللهم أذقه حر الحديد) .

ولكـن أبا الخطاب حين عاد إلى الكوفة نشـر مبادئه وكـوّن فرقة التفت حوله وآمنـت بدعوته، وكان الرجل على مهارة وذكاء ودقة فى تنظيم الدعوة، فكان يدعو فى البداية باسـم الإمام جعفر الصادق، وينسـب العلـم بالغيب إلى الإمام جعفر الصـادق، فلما تبرأ منـه الإمام جعفر الصادق ولعنه، وأعلن رفضه لنسـبة العلم بالغيب إليه، تحول أبو الخطاب إلى ادعاء النبوة، واسـتحل المحارم كلها ورخص فيها، وكان أصحابه كلما ثقل عليهم أداء فريضة سألوه وقالوا: يا أبا الخطاب خفف علينـا، فيأمرهم بترك الفريضة! حتى تركوا جميع الفرائض! وأباح لهم أن يشـهد بعضهـم لبعض بالزور، وقال: من عرف الإمام فقد حل له كل شـىء كان محرما عليه. وادعى أنه يعرف الاسم الأعظم لله، ثم ادعى النبوة، ثم ادعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم!

هكذا وصل الأمر بهذا الرجل الذى ادعى الإسلام، وادعى أنه ممثل لإمام الشيعة المعتدليـن جعفر الصادق، وصل به الأمر إلى أن أحل الزنا، والسـرقة، وشـرب الخمر، وتـرك الصلاة والصيام والحج، وإباح الشـهوات بعضهـم لبعض، وأمر أصحابه: من سـأله أخوه أن يشـهد له على مخالفيه فليشـهد له فإن ذلك فرض واجب، وأساء تفسير الآية الكريمة : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ (النساء آية٢٨) على أن المقصود بها التخفيف بترك الصلاة والزكاة والحج لكل من عرف الإمام!

مثل هذا المجتمع الباطنى السرى الإباحى الذى نظمه أبو الخطاب كيف ينسب إلى الإسلام وإلى الشيعة، وقد وصل به الأمر إلى القول بأن الأئمة هم أنبياء، ثم انتهى به الأمر إلى القول: بأن الأئمة آلهة!

وزعم أن جعفرًا الصادق هو الإله فى زمانه! وأنه نزل إلى هذا العالم فى صورة إنسان ليراه الناس! ونشر فى أتباعه فكرة ملخصها أنهم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الحجر آية ٢٩) فقال إن المقصود آدم، ونحن-الخطابية- أولاده، وقيل: إن الخطابية عبدوا أبا الخطاب، وزعموا أنه إله، وزعموا أن جعفرًا الصادق هو الآخر إله إلا أن أبا الخطاب أعظم منه وأعظم من الإمام علىّ ذاته، وادعى أبو الخطاب أنه يمكن أن يظهر فى أية صورة شاء، وروى أصحابه عنه الأساطير ومنها أن رجلا سأله وهو فى المدينة فأجابه ثم انصرف ليظهر فى الكوفة.

كل ذلك نجده فى الكتب القديمة، فهل يمكن أن يقنع ذلك إنسانًا عاقلاً؟.

الدكتور النشار يشكك فى صحة هذه الحكايات التى تروى عنه، على رغم أن البعض يتمسك بها ويرويها على أنها أفكار الخطابية، وقد يزيدون من عندهم أن هذه أفكار الشيعة، أما الدكتور النشار فيرى أن أبا الخطاب الأسدى هذا كان له مقام كبير فى تاريخ الشيعة الغلاة والإسماعيلية، وإن كانت هناك فرق أخرى قد ظهرت تنتسب إليه وتردد هذه الأفكار الغريبة عن الأئمة والنبوة والألوهية والعلم بالغيب.

□□□

والخلاصة أن كل من يريد الإساءة إلى الإسلام وإلى الشيعة ينبش فى بطون الكتب ويردد ما فيها من أحاديث أشخاص وفرق غريبة تشبه ما يظهر فى عصرنا الحديث من فرق شاذة، ولعلنا نذكر الجماعات التى ظهرت فى الولايات المتحدة وادعى زعماؤها أنهم أنبياء وآلهة، ووضعوا لاتباعهم صلوات وطقوساً خاصة بهم،

بل وفـرض أحدهم على أتباعه أن يحرقوا أنفسـهم ليتطهروا من دنـس الحياة الدنيا واحترقـوا فعلا.. ولعلنا نذكر جماعة عبدة الشـيطان فى أمريـكا وغيرهم..وماأكثر ما يذكر التاريخ القديم والحديث فى القارات الخمس من أمثال هذه الفرق الغريبة.

الشـذوذ ظاهرة موجودة فى كل زمان ومكان.. وفى اتبـاع كل الديانات فلماذا التركيز على الشواذ الذين نسبوا أنفسهم إلى الإسلام وإلى الشيعة وحدهم؟ هذا هو السؤال الذى يحتاج إلى إجابة.

ولمـن يريد أن يعرف أكثر عن هذه الفرق وأمثالهـا أن يعود إلى كتاب الدكتور النشـار ففيه تفصيلات تفوق الخيـال وتدل على أن الإسـلام تعرض لمؤامرات وتضليل أكثر ممـا نتصور..ومع ذلك فإن الله صدق وعده.. فهو الذى أنزل الذكر الحكيم.. وهو الذى تكفل بحفظه.. ووعد بحماية دينه الحق من كل كيد وانحراف.

□□□

يظلم الإسـلام من يحسب هذه الفرق على الإسلام، ويظلم الشيعة من يحسبهما علـى الشـيعة، وإنما هـذه جماعات تظهـر فى كل الأديـان، وفـى كل العصور، لا يرضيهم الإيمان البسـيط، ويسـعون إلـى أفكار غريبة وأسـطورية وبعيدة عن العقـل، ويجدون الإغراء فى غرابة هذه الأفـكار ويجذبون بها أمثالهم من الباحثين عن الأفكاروالمعتقدات الغريبة.

وفى نفس الوقت يجب ألا ننسى أن هناك كثيرين من أصحاب الديانات والعقائد المخالفة للإسلام دخلوا فى الإسلام واكثرهم اعتنق الإسلام عن اخلاص، وبعضهم الآخر إدعى الإسـلام بقصد محاربته وتخريبه من الداخل، وبعضهم أسـلم ولكنه ظل — ربما بحسن نية — محتفظا بمعتقداته الدينية الغريبة ولم يستطع التخلص منها فأراد أن يوفق بين الإسـلام وبين هذه العقائد فنشـر أمثال هذه الأفكار التى كانت مسخا للإسلام، وإساءة إليه ربما بحسن نية.

ومع ذلك يجب أن نظل متذكرين أن هذه الأفكار لم تعد منتشرة، وهى تنتمى إلى الماضى، وإن كان البعض يحرص على أن يستخرجها من الكتب القديمة للإساءة إلى الإسلام وإلى الشيعة. أما بقية الفرق التى تعتبر من غلاة الشيعة والتى ما زالت باقية فهى فلول قليلة العدد وقليلة التأثير.

وعلى ذلك فإن أهل السُـنّة والشيعة معا يجب أن يقوموا بحركة تجديد وإصلاح فـى الفكر لتنقية الفرق والكتب الشـيعية ممـا لحق بها، وإعـادة تقديم المذهب الشـيعى فى صورته الحقيقية النقية بعيدا عن الخرافات والأسـاطير والانحرافات الدخيلة عليه.

□□□

هـؤلاء المتطرفـون أو المنحرفون — يجب ألا يدفعونا إلى إغفال رجال عظام من أئمة الشيعة مثل على زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق. وقد توفى على زين العابدين فى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هجرية فقال عنه عمر بن عبد العزيز: (ذهب سراج الدنيا، وجمال الإسلام، وزين العابدين) وقد ترك على زين العابدين أولادا كثيرين منهم محمد الباقر، وزيد بن على.

ومما يدعو للاطمئنان أن عقلاء الأمة الإسلامية بدءوا يتحركون لكشف ماهو حق وما هو باطل مما ينسب إلى الشيعة، ويعملون بذلك على تضييق الفجوة المصطنعة بين أهل السُـنّة والشـيعة، وفى ذلك قوة للمسلمين. ونحن فى وقت نحتاج فيه إلى مايوحد وليس إلى ما يفرق بين المسلمين، بينما الخطر يتهدد الجميع.